الآفة الخامسة والعشرون

الغضب

والآفة الخامسة والعشرون التى أصابت وتصيب نفراً من العاملين وكانت سبباً فى كثير مما نشهده على ساحة العمل الإسلامى اليوم إنما هى : « الغضب » .

ولابد من أن نعمل جاهدين على التخلص بل التحصن ضد هذه الآفة، وبداية ذلك أن يكون فى أيدينا تصور واضح ودقيق عن أبعاد ومعالم هذه الآفة، وذلك من خلال هذه الجوانب :

أولا : تعريف الغضب :

لغة : يأتى الغضب فى اللغة على معان، منها :

أ ـ السخط، أو عدم الرضى بالشىء، وعن الشىء، نقول : غَضِب عليه غضبًا، ومَغْضَبَة : سخط أو لم يرض، وغضب له : سخطَ أو لم يرض على غيره من أجله .

ب ـ العضّ على الشىء، نقول : غضبت الخيل على اللجم : عَضَّتْ .

جـ ـ العبوس، نقول : ناقة غضوب، وامرأة غضوب : عبوس .

د ـ ورم ما حول الشىء، نقول : غَضِبَتْ عينه، وغُضِبَتْ : ورم ما حولها .

هـ ـ الكدر فى المعاشرة والخلق، نقول : هذا غُضَابى : كدر فى معاشرته وخلقه .

و ـ الجُنَّة، تتخذ من جلود الإبل، تلبس للقتال، والغضبة : جلد المسن من الوعول حين يسلخ (١) .

ولا تعارض بين هذه المعانى جميعا، إذ منها ما يعبر عن حقيقة الغضب، وهو المعنى الأول، ومنها ما يعبر عن مظاهره وأماراته الدالة عليه، وهو المعنى الثانى، والثالث، والرابع، ومنها ما يعبر عن آثاره وهو المعنى الخامس، ومنها ما يعبر عن هدفه، وغايته، وهو المعنى السادس والأخير .

---

(١) انظر : لسان العرب ٢ / ٦٤٨ ـ ٦٥١، والمعجم الوسيط ٢ / ٦٥٤، والصحاح فى اللغة والعلوم للمرعشليين ص ٨١٩، مادة : « غضب » بتصرف كثير .

اصطلاحًا : أما فى الاصطلاح فهو : تغير داخلى أو انفعال يحمل على السطو والانتقام شفاء لما فى الصدر ، وأشد منه الغيظ حتى قالوا فى تعريفه : إنه شدة الغضب [١] .

ثانيًا : مظاهر الغضب ، وحقيقته فى الإسلام :

وللغضب مظاهر دالة عليه، وأمارات يعرف بها، ومنها :

١ ـ انتفاخ العروق والأوداج مع احمرار الوجه والعينين .

٢ ـ عبوس وتقطيب الوجه والجبين .

٣ ـ العدوان على الغير باللسان، أو باليد، أو بالرجل، أو ما يقوم مقام ذلك .

٤ ـ مقابلة العدوان بمثله وأشد مع عدم تقدير للعواقب الناجمة عن ذلك [٢] ، وهلم جرًا .

وحقيقة الغضب فى الإسلام: أن منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم .

* فما كان منه دفاعا عن نفس، أو عرض، أو مال، أو دين، أو حقوق عامة، أو نصرة مظلوم فمحمود . ويشهد بذلك أدلة كثيرة منها :

١ ـ أن الله خلق الإنسان ليكون خليفة فى الأرض كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] .

وحتى ينهض الإنسان بهذه المهمة خلق مكونا من روح، وعقل، وبدن، واقتضت حكمته سبحانه : أن يجعل البدن فى خدمة الروح، وأن يكون البدن فى هيئة تجعله صالحا لخدمة الروح مدة بقاء الإنسان فى الأرض، فخلق فيه قوتين :

الأولى : القوة الشهوية، ومهمتها جلب كل ما ينفع البدن ويغذيه .

الثانية : القوة الغضبية، ومهمتها دفع كل ما يضر البدن ويهلكه .

كما خلق له الأعضاء والجوارح لتكون فى خدمة كل من القوة الشهوية والقوة الغضبية، وخلق له العقل كذلك ليكون بمثابة مشير أو ناصح للروح، بحيث إن مالت كل من القوتين الشهوية والغضبية، عن حد الاعتدال، أشار العقل على الروح أو نصحه بضرورة اتخاذ موقف صارم مع القوة التى مالت، ليعود للإنسان توازنه وتكامله.

---

(١) انظر : إحياء علوم الدين للغزالى ٣ / ٢٤٧، والتعريفات للجرجانى ص ١٦٢ بتصرف كثير .

(٢) انظر : إحياء علوم الدين للغزالى ٣ / ٢٤٧ بتصرف كثير .

وعلم الله أن العقل قد يعتريه ما يحول بينه وبين بذل النصح والإرشاد لسبب أو لآخر، فأنزل له منهاجا يتمثل فى كتابه وسنة نبيه ﷺ ينير الطريق، ويهدى للحق، ويحفظ التوازن والتكامل بين سائر الجوانب التى يتكون منها الإنسان، كى تبقى شخصيته سوية مستقيمة، ليس بها خلل أو اعوجاج [١] .

فالغضب إذن خلق فى الإنسان ليدافع به عن كل ما تقدم، ويصون به الحرمات، والمقدسات .

٢ ـ وأن الله ـ عز وجل ـ أثنى على أصحاب نبيه ﷺ بأنهم أشداء على الكفار، فيقول : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

والشدة على الكفار لا تنبعث إلا عن الحمية، والغضب، وهم لم يغضبوا فيما أخبر عنهم ربهم إلا له سبحانه وتعالى، حيث يقول : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾

[الحشر]

يقول ابن جرير ـ رحمه الله : « قوله : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ يقول تعالى ذكره : محمد رسول الله، وأتباعه من أصحابه الذين هم معه على دينه أشداء على الكفار : غليظة عليهم قلوبهم، قليلة بهم رحمتهم » [٢] .

٣ ـ وذكر الله ـ عز وجل ـ أن من صفات الصنف المرشح لحماية دين الله والتمكين له فى الأرض بعد إذ يعرض من يعرض، إنما هى العزة على الكافرين فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

يقول ابن جرير ـ رحمه الله : « ويعنى بقوله : ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ أشداء عليهم، غلظاء بهم، من قول القائل : قد عزنى فلان إذا أظهر العزة من نفسه له، وأبدى له الجفوة والغلظة » [٣] .

---

(١) انظر : إحياء علوم الدين للغزالى ٣ / ٢٤٧ بتصرف كثير .

(٢) انظر : جامع البيان ٢٦ / ١١ / ٦٩ .

(٣) انظر : جامع البيان ٦ / ٤ / ١٨٥ .

٤ ـ وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣) ﴾ [التوبة، التحريم : ٩] .

ومعلوم أن الغلظة على هؤلاء إنما تنبع من الغضب عليهم بسبب كفرهم ونفاقهم المؤدين إلى الصد عن سبيل الله، وإرادتها عوجا .

٥ ـ وجاء فى صفته ﷺ أنه « ما خير بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم الله بها » (١) .

وعلى هذا النوع من الغضب يتنزل قول الشافعى رضي الله عنه : « من استغضب فلم يغضب فهو حمار » (٢) .

* وما كان منه انتقاما لنفس فمذموم، وهو المقصود هنا، وبذمه جاءت الأخبار والآثار :

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » (٣) .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب المناقب: باب صفة النبى ﷺ ٤/ ٢٣٠، وكتاب الأدب : باب قول النبى ﷺ : « يسروا ولا تعسروا »، وكان يحب التخفيف واليسر على الناس ٨ / ٣٦، ٣٧، وكتاب الحدود : باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله ٨ / ١٩٨، ١٩٩ من وجهين عن مالك، ومن وجه عن عقيل، كلاهما عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة به، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الفضائل : باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته ٤/ ١٨١٣، ١٨١٤ رقم (٢٣٢٧) من حديث ابن شهاب، وهشام بن عروة كلاهما عن عروة، عن عائشة به، وأبو داود فى: السنن: كتاب الأدب: باب فى التجاوز فى الأمر ٤/ ٢٥٠ رقم (٤٧٨٥) من حديث ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة به، ومالك فى : الموطأ : كتاب حسن الخلق : باب ما جاء فى حسن الخلق ص ٥٦٣، رقم (٢) من حديث ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة به، وأحمد فى: المسند ٦ / ٨٥، ١١٤ ـ ١١٦، ١٣٠، ١٦٢، ١٨١، ١٨٢، ١٨٩، ١٩١، ٢٠٩، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٦٢ من عدة أوجه عن ابن شهاب، وهشام بن عروة، كلاهما عن عروة عن عائشة به، وبنحوه مطولا ومختصرا .

(٢) انظر : إحياء علوم الدين للغزالى ٣ / ٢٤٧، وتوالى التأسيس لمعالى محمد بن إدريس لابن حجر العسقلانى ، الفصل السابع فى سياق شىء من بليغ كلامه نظماً ونثراً : ذكر شىء من منثور كلامه ص ١٣٦ .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب الأدب : باب الحذر من الغضب ٨/ ٣٤، ومسلم فى: الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأى شىء يذهب الغضب ٤ / ٢٠١٤ رقم (٢٦٠٩)، ومالك فى : الموطأ : كتاب حسن الخلق : باب ما جاء فى الغضب ص ٥٦٥ رقم (١٢) ، وأحمد فى : المسند ٢ / ٢٣٦، ٢٦٨، ٥١٧، كلهم من حديث أبى هريرة مرفوعا، واللفظ للبخارى ومسلم .

وعن أبى هريرة أيضا : أن رجلا قال للنبى ﷺ : أوصنى، قال: « لا تغضب »، فردد مرارًا، قال : « لا تغضب » (١) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال :« ما تعدون الصرعة فيكم ؟ »، قلنا : الذى لا تصرعه الرجال، قال: « ليس ذلك ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب»(٢) .

وعن عبد الله بن عمرو : أنه سأل رسول الله ﷺ : ما ينقذنى من غضب الله ؟ قال : « لا تغضب » (٣) .

وقال أبو الدرداء : قلت : يا رسول الله، دلنى على عمل يدخلنى الجنة، قال: «لا تغضب » (٤) .

وقال عبد الله بن مسعود: انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه، وأمانته عند طمعه، وما علمك بحلمه إذا لم يغضب، وما علمك بأمانته إذا لم يطمع (٥) .

وكان عمر رضي الله عنه إذا خطب، قال فى خطبته : « أفلح منكم من حفظ من الطمع، والهوى، والغضب » (٦) .

وقيل لعبد الله بن المبارك : أجمل لنا حسن الخلق فى كلمة، فقال : اترك الغضب (٧) .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح :كتاب الأدب : باب الحذر من الغضب ٨ / ٣٥، والترمذى فى: السنن : كتاب البر والصلة : باب ما جاء فى كثرة الغضب ٤ / ٣٢٦ رقم (٢٠٢٠]، ومالك فى : الموطأ : كتاب حسن الخلق : باب ما جاء فى الغضب ص ٥٦٥ رقم (١١)، وأحمد فى: المسند ٢/ ٣٦٢، ٤٦٦، كلهم من حديث أبى هريرة مرفوعا، واللفظ للبخارى، إلا مالكا، فإنه عنده مرسل من حديث حميد بن عبد الرحمن بن عوف، وعقب الترمذى على حديثه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه » .

(٢) الحديث جزء حديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ٤ / ٢٠١٤ رقم (٢٦٠٨)، وأبو داود فى: السنن : كتاب الأدب: باب من كظم غيظا ٤ / ٢٤٨ رقم (٤٧٧٩) ، وأحمد فى: المسند ١ / ٣٨٢، ٣٨٣، كلهم من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعا، وأوله عند مسلم : أن رسول الله ﷺ قال :« ما تعدون الرقوب فيكم » ـ يعنى المصاب بموت أولاده، قال: قلنا: الذى لا يولد له، قال : « ليس ذلك بالرقوب، ولكنه الرجل الذى لم يقدم من ولده شيئا »، قال : « فما تعدون الصرعة فيكم ؟ » . . . الحديث .

(٣) الحديث آخرجه أحمد فى : المسند ٢ / ١٧٥، وأورده الغزالى فى إحياء علوم الدين ٣/ ٢٤٤، وعقب عليه العراقى فى : المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار بذيل الإحياء بقوله : « أخرجه الطبرانى فى مكارم الأخلاق، وابن عبد البر فى : التمهيد بإسناد حسن، وهو عند أحمد، وأن السائل عبد الله بن عمرو » .

(٤) الحديث أورده الغزالى فى : إحياء علوم الدين ٣ / ٢٤٥، وعقب عليه العراقى فى : المغنى بذيل الإحياء بقوله: « أخرجه ابن أبى الدنيا، والطبرانى فى الكبير والأوسط بإسناد حسن » .

(٥) هذا الأثر أورده الغزالى فى : إحياء علوم الدين ٣ / ٢٤٦ .

(٦، ٧) هذان الأثران أوردهما الغزالى فى : إحياء علوم الدين ٣ / ٢٤٦ .

تلك هى حقيقة الغضب فى الإسلام، وقد لخص هذه الحقيقة بأسلوب سهل ميسور الشيخ على محفوظ نقلا عن الغزالى فى الإحياء فقال :

« **للغضب ثلاث درجات :**

الأولى : درجة الاعتدال، بأن يغضب ليدافع عن نفسه، أو دينه، أو عرضه، أو ماله، أو ليدافع عن الحقوق العامة،ونصرة المظلوم، وتلك الحالة التى من أجلها خلق الغضب، فهو مخلوق لحكمة ضرورية اقتضتها طبيعة العمران، وطلبها نظام المجتمع الإنسانى، فإن التنافس فى هذه الحياة، والتزاحم على مرافقها يستدعى دفاعا قويا عن النفس، والدين، والمال، والعرض والحقوق العامة، ولولا ذلك لفسدت الأرض بانتشار الفوضى، وتقويض نظام الاجتماع ؛ لأن من لا يغضب لنفسه كان معرضا للزوال من هذا الوجود، أو معرضا لأن يسخره غيره تسخير الدواب التى لا تغضب لنفسها، ومن لا يغضب لدينه، فإنه يكون عرضة لتقليد القوى فى كل ما يراه ويستحسنه، فينتقل من دين إلى دين بسبب التقليد الأعمى، ومن لا يغضب لعرضه لا يغار على نسائه، وتختلط الأنساب، وتشيع الفاحشة فى طبقات الأمة، ويصبح الإنسان كالحيوان ينزو ذكره على أنثاه بدون غيرة ولا حمية، ومن لا يغضب لماله فإنه لا يلبث أن يسلبه الناس منه فيصبح فقيرا معدما، وإذا فشا سلب المال تعطل نظام العمل، بل بطلت الأعمال التجارية، والصناعية، والزراعية، واعتمد الناس على سلب بعضهم بعضا، وذلك شر ووبال فى العاجل والآجل، ومن لا يغار للحقوق العامة، وإنصاف المظلومين فقد خالف مقتضى الطبيعة التى فطر الله الناس عليها، وفى مثله يقول الإمام الشافعى ـ رحمه الله : من استغضب فلم يغضب فهو حمار ؛ أى بليد الطبع، فاقد الحمية، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** (٢٥١) ﴾ [البقرة] .

الثانية : درجة التفريط، وهى أن ينحط الغضب عن درجة الاعتدال، بأن يضعف فى الإنسان، أو يفقد منه رأسا، وتلك الحالة مذمومة شرعا، وعقلا ؛ لأن من لا يغضب لنفسه، أو لدينه، أو لعرضه، أو لماله، أو للمصالح العامة فهو جبان لم يجر على سنن الله فى خلقه .

وفى ذلك خطر عظيم على الاجتماع ؛ لأنه مثار الفوضى فى جميع مرافق الحياة كما علمت .

الثالثة : درجة الإفراط، وهى أن يخرج الغضب عن حد الاعتدال، ويطغى على العقل والدين، ويندفع فى سبيل الشر اندفاعا قد يؤدى إلى الهلاك من حيث لا يدرى، وربما جره غضبه لأجل أمر يسير إلى ارتكاب أكبر الجرائم، وشر الموبقات، ومعلوم أن الغضب فى تلك الحالة مذموم شرعا وعقلا، وتتفاوت درجات الذم بتفاوت الآثار المترتبة عليه قوة وضعفا، فكلما اشتد ضررها كان الغضب أكبر حجما، وأكثر ذما»(١).

ثالثا : أسباب الغضب :

وللغضب أسباب تؤدى إليه، وبواعث توقع فيه، وأهم هذه الأسباب وتلك البواعث :

١ ـ البيئة المحيطة بالمرء :

والسبب الأول الذى يؤدى بالمرء إلى الغضب إنما يرجع إلى البيئة المحيطة بهذا المرء، أعمَّ من أن تكون قريبة ـ وهى البيت، أو بعيدة ـ وهى المجتمع ؛ إذ قد تحيط بالمرء بيئة مليئة بأشرار يحسبون التهور شجاعة، وطغيان الغضب الموجب للظلم رجولةً، فتتأثر نفسه بذلك، وتصبح سرعة الغضب عادةً له، وشعارا .

٢ ـ المراء أو الجدل :

والسبب الثانى المؤدى إلى الغضب إنما يرجع إلى المراء أو الجدل بالباطل؛ ذلك أن كلا من المتخاذلين يريد الانتصار على الآخر، ولو بالباطل، وحين لا يتم له ذلك يغضب ويثور، قاصدًا السطو أو الانتقام، لاسيما إذا كان يرى نفسه أقوى وأشد ممن يناظره أو يجادله .

ولعل هذا هو السبب فى التحذير من المراء أو الجدل بالباطل على النحو الذى قدمنا فى آفة: «المراء أو الجدل» من هذه السلسلة أعنى سلسلة: «آفات على الطريق».

٣ ـ المزاح بالباطل :

والسبب الثالث المؤدى إلى الغضب إنما يعود إلى المزاح بالباطل ؛ ذلك أن المزاح إذا تجاوز حدود الحقِّ إلى الباطل أدَّى إلى الخصومة، وتنتهى الخصومة إلى إشعال نار الغضب فى القلب بصورة تنعكس على الجوارح، فإذا هى ساعية إلى السَّطو والانتقام.

---

(١) انظر : هداية المرشدين ص ٢٦٣، ٢٦٤ .

ولعل هذا هو السبب فى أنه ﷺ كان يمزح ولا يقول إلا حقا، وأنه نهى عن المزاح بالباطل، إذ يقول: « لا تمارِ أخاك ولا تمازحه، ولا تعدْهُ مَوْعِدَةً فتخلفه »(١) .

٤ ـ عدوان الآخرين بأى لون من ألوان العدوان :

والسبب الرابع الذى يؤدى إلى الغضب إنما يرجع إلى عدوان الآخرين بأىِّ لون من ألوان العدوان، ذلك أن المرء إذا وقع عليه عدوان من الآخرين بأى لون من ألوان العدوان : سخرية، أو استهزاء، أو تجسسا وتتبعا لعوراته، أو غيبة، ونميمة، أو سبًّا وتجريحا، أو اعتقالا وسجنا، أو ضربا وتعذيبا، على نحو ما تصنعه أكثر حكومات العالم الإسلامى ـ بل العربى على وجه الخصوص ـ مع بعض الشباب المتدين الغيور الذى أخطأ الطريق، الأمر الذى يثيره من داخله، ويحمله على الرد بصورة أو بأخرى .

ولعل هذا هو السبب فى تحذير الله ورسوله من العدوان على الآخرين دون مبرر يقتضى ذلك، إذ يقول سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٢)** ﴾ [الحجرات] .

وإذ يقول النبى ﷺ : « إياكم والظن، فإن الظنَّ أكذبُ الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، ولا يخذله . . . » الحديث (٢) .

٥ ـ الاستعلاءُ والتكبُّر فى الأرض بغير الحق :

والسبب الخامس الذى يؤدى إلى الغضب إنما يرجع إلى الاستعلاء والتكبُّر فى الأرض بغير الحق ؛ ذلك أن المستعلى المتكبر فى الأرض بغير الحق يتأثر كلما فاته ما يعتقد أنه يستبقى عظمته ومنزلته بين الناس، فإذا طالبه أحد بحق استشاط غضبه،

---

(١) الحديث أخرجه الترمذىُّ فى : السُّنن : كتاب البرِّ والصلة : باب ما جاء فى المراء ٤ / ٣١٦ رقم (١٩٩٥) من حديث عبد الله بن عباس ﷺ مرفوعا بهذا اللفظ، وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » .

(٢) الحديث سبق تخريجه فى الجزء الثالث، آفة « سوء الظن » .

وكذا إذا نهاه عن رذيلة، أو عارضه فى أىِّ أمرٍ كان، لاعتقاده أنه كامل من جميع الجهات، فلا يصح لأحد أن يأمره، أو ينهاه، أو يقف فى سبيله، وهو فى الواقع ناقص من كل وجه، يحاول أن يجبر نقصه باستعلائه، وتكبُّره .

٦ ـ نسيان النفس من المجاهدة :

والسبب السادس الذى يؤدى إلى الغضب إنما يعود إلى نسيان النفس من المجاهدة؛ ذلك أن أىَّ داء يبتلى به الإنسان يتفاقم ويعظم، ويصبح كأنَّه قطعة من جبلة الإنسان حين يهمله، ولا يجاهد نفسه أن تقلع عنه، وتتخلص منه .

ولهذا دعا الله ـ كما قدمنا غير مرَّة ـ إلى المجاهدة، فقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت] .

٧ ـ عدم قيام الآخرين بواجبهم نحو مَنْ ابتلى بالغضب :

والسبب السابع الذى يؤدى إلى الغضب إنما يرجع إلى عدم قيام الآخرين بواجبهم نحو مَنْ ابتُلى بالغضب ؛ ذلك أن الإنسان قد يَعْرِفُ عيبه وآفته، ولكنه لضعفه أمام نفسه، وأمام إغراءات شياطين الإنس والجن، وزينة الحياة الدنيا، يعجز عن التخلص من هذا العيب، وهذه الآفة، وحينئذ لابدَّ له من عون الآخرين، ووقوفهم بجانبه حتى يتخلص من عيبه بالغضب، فإن هذا الغضب يتفاقم، ويعظم حتى يصبح وكأنه جزء من شخصية صاحبه لا ينفكُّ عنه بحال .

٨ ـ الوصف بما يراه المرء منقصة له أو عيبا :

والسبب الثامن الذى يؤدى إلى الغضب إنما يرجع إلى الوصف بما يراه المرء منقصة له أو عيبا ؛ ذلك أن الإنسان إذا وصف بأوصاف يرى فيها انتقاصا له، ونيلا من كرامته بأن يقال له : لو كنت رجلا للقيت فلانا وفلانا، وأظنُّ أنك ما تريد أن تلقى فلانا إلا فرقا أو خوفا من بأسه، وهكذا، الأمر الذى يحركه من داخله وينعكس ذلك على جوارحه فإذا هو محمر الوجه والعينين، مرغيا، مزبدا، ساعيا إلى السطو والانتقام على نحو ما جاء فى سبب خروج أميَّة بن خلف إلى مصرعه يوم بدر :

إذ يروى عبد الله بن مسعود ﷺ فيقول : « انطلق سعد بن معاذ معتمرا، فنزل على أميَّة بن خلف أبى صفوان، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمرَّ بالمدينة نزل على سعد، فقال أميَّة لسعد : انتظر، حتى إذا انتصف النهار، وغفل الناس، انطلقت فطُفْتَ، فبَيْنا

سعدٌ يطوف إذا أبو جهل، فقال : مَنْ هذا الذى يطوف بالكعبة ؟ فقال سعدٌ : أنا سعدٌ، فقال أبو جهل : تطوف بالكعبة آمنا، وقد آوَيْتم محمدا وأصحابه، فقال : نعم، فتلاحيا بينهما، فقال أمية لسعد : لا ترفع صوتك على أبى الحكم، فإنه سيد أهل الوادى، ثم قال سعد : والله، لئن منعتنى أن أطوف بالبيت لأقطعنَّ متجرك بالشام، قال : فجعل أمية يقول لسعد : لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه، فغضب سعد فقال : دعنا عنك، فإنى سمعتُ محمداﷺ يزعم : أنه قاتلك، قال : إيَّاى ؟ قال : نعم، قال : والله، ما يكذب محمد إذا حدَّث، فرجع إلى امرأته، فقال : أما تعلمين ما قال أخى اليثربى ؟ قالت : وما قال ؟ قال : إنه سمع محمدًا يزعم أنه قاتلى، قالت : فو الله ما يكذب محمدٌ، قال : فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ، قالت له امرأته : أما ذكرتَ ما قال لك أخوك اليثربى، قال : فأراد ألا يخرج، فقال أبو جهل : إنك من أشراف الوادى، فسِرْ يوما أو يومين، فسار معهم، فقتله الله »(١) .

وفى رواية عن ابن إسحاق، قال : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح : « أن أميَّة بن خلف كان أجمع القعود، وكان شيخًا جليلا، جسيما ثقيلا، فأتاه عقبة بن أبى معيط وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى قومه بمجمرة يحملها، فيها نار ومجمر، حتى وضعها بين يديه، ثم قال : يا أبا علىّ، استجمر، فإنما أنت من النِّساء، قال : قبحَّك الله، وقبَّح ما جئت به، قال : ثم تجهَّز، وخرج مع الناس »(٢) .

وفى رواية : « أن أبا جهل هو الذى ما زال به يدفعه ويحرِّضه حتى قال : أما إذ غلبتنى لأشترينَّ أجود بعير بمكة »(٣) .

فانظر كيف استطاع عقبة بن أبى معيط أو أبو جهل إغضاب أميَّة بن خلف إغضابا حمله على شراء أجود بعير ليشاركهم الخروج إلى بدر، وكانت وسيلة كلٍّ منهما فى ذلك إنما هى وصف أمية بن خلف بما اعتبره انتقاصا، وعيبا، وإهانة له، ورأى أن أحسن وسيلة للرد على كلِّ هذه الأوصاف، إنما هى الخروج مع القوم على أجود راحلة .

٩ ـ التذكير بالعداوات والثارات القديمة :

والسبب التاسع الذى يؤدى إلى الوقوع فى الغضب إنما يرجع إلى التذكير

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب المناقب : باب علامات النبوة فى الإسلام ٤ / ٢٤٩، ٢٥٠ من حديث عبد الله بن مسعود بهذا اللفظ .

(٢) انظر : عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير ١ / ٢٩٤ نقلا عن ابن إسحاق .

(٣) هذه الرواية أوردها الصالحى فى : سبل الهدى والرشاد ٤ / ٧٢ نقلا عن البخارى .

بالعداوات والثارات القديمة ؛ ذلك أن المرءَ قد يكون له ثأرٌ عند آخرين، ويتنازل عنه ديانةً أو إيماناً، وتلتقى القلوب ويكون الحُبُّ والإخاء، وهنا يعمل الحاقدون والحسَّاد على تسويد هذه القلوب، والنيل من الأخوة بوسيلة أو بأخرى، ويتخذون من التذكير بالثارات القديمة وسيلة من أنجح الوسائل لذلك .

على نحو ما جاء فى علاقة الأنصار ـ أوسهم وخزرجهم ـ فقد كانت بينهم حروبٌ وثاراتٌ فى الجاهلية، ولما جاء الإسلام أبطل هذه الثارات، وألَّف بين قلوبهم، وجمع كلمتهم .

وغاظ ذلك اليهود، فحاولوا الوقيعة بينهم ـ على ما أورده ابن جرير الطبرى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١) ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) ﴾ [آل عمران] .

إذ يقول : « وقد ذكر أن هاتين الآيتين من قوله : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ والآيات بعدهما إلى قوله : ﴿ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ نزلت فى رجل من اليهود حاول الإغراء بين الحيَّين من الأوس والخزرج بعد الإسلام ليراجعوا ما كانوا عليه فى جاهليتهم من العداوة والبغضاء، فعنَّفه الله بفعله ذلك، وقبَّح له ما فعل، ووبَّخه عليه، ووعظ أيضا أصحاب رسول اللهﷺ ونهاهم عن الافتراق والاختلاف، وأمرهم بالاجتماع والائتلاف وذكر الرواية بذلك فقال : حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق، قال : حدثنى الثقة، عن زيد بن أسلم قال : مرَّ شاس بن قيس، وكان شيخا قد عسا فى الجاهلية ـ يعنى : كبر ـ عظيم الكفر، شديد الضِّغن على المسلمين، شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول اللهﷺ من الأوس والخزرج فى مجلس قد جمعهم، يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية، فقال : قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد ـ يعنى أمّهم، وكانت تسمى قيلة ـ والله ما لنا معهم ـ إذا اجتمع ملؤهم ـ بها من قرار، فأمر فتى شابا من اليهود، وكان معه، فقال : اعمد إليهم، فاجلس معهم، وذكِّرْهم يوم بعاث، وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر

فيه للأوس على الخزرج، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعوا، وتفاخروا، حتى توائب رجلان من الحيَّين على الركب، أوس بن قيظى أحد بنى حارثة بن الحارث من الأوس ، وجبَّار بن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج ، فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددناها الآن جذعة . وغضب الفريقان، وقالوا : قد فعلنا، السِّلاح السلاح، موعدكم الظاهرة ـ والظاهرة الحرَّة ـ فخرجوا إليها، وتحاور الناس، فانضمَّتْ الأوس بعضها إلى بعض، والخزرج : بعضها إلى بعض، على دعواهم التى كانوا عليها فى الجاهلية، فبلغ ذلك إلى رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم، فقال : « يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم اللهُ إلى الإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر، وألَّف به بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا »، فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد مِنْ عدوِّهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا، وعانق الرجالُ من الأوس والخزرج بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيدَ عدو الله شاس بن قيس، وما صنع، فأنزل الله فى شاس بن قيس وما صنع :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [آل عمران] ، وأنزل الله ـ عز وجل ـ فى أوس بن قيظى ، وجبار بن صخر ، ومَنْ كان معهما مِنْ قومهما الذين صنعوا ما صنعوا مما أدخل عليهم شاس بن قيس من أمر الجاهلية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) ﴾ إلى قول: ﴿ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) ﴾ [آل عمران] » (١) .

١٠ ـ الغفلة عن العواقب المترتبة على الغضب :

وأخيرا، قد تكون الغفلة عن العواقب والآثار المترتبة على الغضب فردية أو جماعية، دنيوية أو أخروية، هى السبب فى الوقوع فى الغضب ؛ ذلك أن المرءَ إذا غَفَلَ عن الآثار والعواقب المترتبة على أمرٍ ما وقع فى ذلك الأمر مِنْ حيث لا يدرى، ولا يشعر .

---

(١) انظر : جامع البيان ٤ / ٣ / ١٦، ١٧ .

ولعل هذا هو السرُّ فى دعوة الشارع الحكيم إلى الفقه فى الدين إذ يقول الله عز وجل فى أول آيات الوحى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ [العلق] . ويقول : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢) ﴾ [التوبة] . ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا (١١٤) ﴾ [طه] .

ويقول النبى ﷺ : « مَنْ يُرد الله به خيرا يفقهه فى الدين . . . » الحديث [١] .

رابعا : آثار الغضب :

وللغضب آثار ضارة، وعواقب مهلكة على العاملين، وعلى العمل الإسلامى، ودونك طرفا مِنْ هذه الآثار، وتلك العواقب :

أ ـ على العاملين :

فمن آثار الغضب على العاملين :

١ ـ الإضرار بالبدن :

ذلك أن الغضب ينشأ من غليان الدَّم فى القلب، ثم اندفاعه فى العروق، كما يظهر من احمرار الوجه والعينين، وتكرار ذلك ينشأ عنه غالبا ضغط الدم، وربما تصلُّب الشرايين، ثم الشلل والعياذ بالله، وهكذا ينتهى الغضب إلى الإضرار بالبدن .

٢ ـ نقصان الدين :

وذلك أن الغضب قد يؤدى بصاحبه إلى غيبة الآخرين، وربما إلى انتهاك أعراضهم، وسلب أموالهم وسفك دمائهم، وذلك كله إثم، ونقصان فى الدين .

٣ ـ عدم القدرة على الإمساك بزمام النفس :

ذلك أن العقل فى ساعة الغضب يكون كالمستور أو كالمغطى، وإذا ستر العقل أو غطى صار الإنسان غير قادر على الإمساك بزمام النفس، وحينئذ يصدر منه مالا يحمد عقباه، وما يؤدى إلى الندم، ولكن بعد فوات الأوان .

---

(١) الحديث سبق تخريجه فى الجزء الأول، آفة « الإعجاب بالنفس » .

وقد قال سليمان بن داود عليهما السلام : « إياك وكثرة الغضب، فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم » [١] .

وعن وهب بن منبه : « أن راهبا كان فى صومعته، فأراد الشيطان أن يضله فلم يستطع، فجاءه حتى ناداه، فقال له : افتح، فلم يجبه، فقال : افتح فإنى إذا ذهبتُ ندمتَ، فلم يلتفتْ إليه ... قال : فولى مدبراً، فقال الرَّاهب : ألا تسمع؟ قال : بلى، أخبرنى أى أخلاق بنى آدم أعون لك عليهم ؟ فقال : الحدَّة، إن الرجل إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة » [٢] .

وقال بعضهم لولده : « يا بنىّ، لا يثبت العقل عند الغضب، كما لا تثبت روح الحىِّ فى التنانير المسجورة، فأقل الناس غضبا أعقلهم، فإن كان للدنيا كان دهاءً ومكراً، وإن كان للآخرة كان حلماً وعلماً، فقد قيل : الغضب عدو العقل، والغضب غولُ العقل » [٣] .

٤ ـ الوقوع فى مذلة الاعتذار :

ذلك أن المغضب يقع منه حال الغضب مالا يدرى ولا يشعر به، وهذا بدوره يوقعه فى مذلة الاعتذار .

وقد نهى النبىﷺعن ارتكاب كل ما يؤدى إلى الوقوع فى مذلة الاعتذار، فقال: « إياك وكل ما يعتذر منه » [٤] .

وكان بعضهم يقول: « إياك والغضب، فإنَّه يصيِّرك إلى ذِلَّة الاعتذار » [٥] .

٥ ـ العذاب الشديد :

إذ الغضبان كثير الخطأ، والوقوع فى المعاصى والسيئات، وهذه توجب العذاب الشديد فى الآخرة فقط، أو فى الدنيا والآخرة جميعا، وصدق الله إذ يقول : ﴿ **وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا** ﴿١٧﴾ ﴾ [الجن] ، ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾ [طه : ١٢٤] .

(١ ، ٢) انظر : إحياء علوم الدين للغزالى ٣ / ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

(٣) انظر : إحياء علوم الدين للغزالى ٣ / ٢٤٥، ٢٤٦ .

(٤) الحديث أورده الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى فى : سلسلة الأحاديث الصحيحة المجلد الأول : الجزء الرابع ص ٧٧ حديث رقم (٣٥٤) نقلا عن الضياء المقدسى فى : المختارة من حديث شبيب بن بشر عن أنس بن مالك مرفوعا بهذا اللفظ،وعقب عليه بقوله : « قلت : وهذا سند حسن رجاله ثقات، وفى شبيب كلام لا يضر » .

(٥) انظر : إحياء علوم الدين للغزالى ٣ / ٢٤٦ .

وصدق النبيﷺ إذ يقول ـ وقد سأله عبد الله بن عمرو بن العاص : ما ينقذنى من غضب الله ؟ «لا تغضب » [١] ، وإذ يقول ـ وقد سأله أبو الدرداء ؟ قائلا : دلّنى على عمل يدخلنى الجنة ؟ : « لا تغضب » [٢] .

ب ـ على العمل الإسلامى :

ومن آثار الغضب على العمل الإسلامى :

١ ـ قلة كسب الأنصار والمؤيدين :

ذلك أن النفوس تألفُ العاقل المنضبط الحكيم فى تصرفاته وتقبل عليه، وتلتفُّ حوله، وتعينه وتؤازره ما استطاعت أما الطائش الأرعن فى سلوكياته وتصرفاته، فإنها تُعرض وتنفضُّ عنه، وعليه فإذا كان العاملون لدين الله ممن يغضبون لأنفسهم ويطيرون لكلِّ هيعة، ويستجيبون لكل مثير دون تقدير للنتائج أو العواقب، فإن الناس لن يقبلوا على هؤلاء العاملين، ولن يؤازروهم، ويخسر العمل الإسلامى بذلك كثيرًا من الأنصار والمؤيدين .

٢ ـ الفرقة والتمزق :

وثمة أثر ثان على العمل الإسلامى من وراء الغضب، ألا وهو الفرقة والتمزق؛ ذلك أن الغضب للنفس يعنى أن العمل لغير الله، وكل ما كان كذلك فلن يرجى مِن ورائه مَوَدَّةٌ، أو ترابط، بل على العكس تكون الفرقة والتَمزُّق .

فقد جاء فى الحديث قولهﷺ : « والأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف » [٣] .

٣ ـ طول الطريق وكثرة التكاليف :

والأثر الأخير للغضب على العمل الإسلامى ، إنما هو طول الطريق وكثرة التكاليف، وهذا أمر بدهى، إذ أن قلة كسب الأنصار، والمؤيدين، مع شيوع الفرقة والتمزق ينتهيان حتما بهذا العمل إلى طول الطريق وكثرة التكاليف .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٩٤، حاشية رقم (٢) .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ٩٤، حاشية رقم (٣) .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب الأنبياء : باب الأرواح جنود مجندة ٥/ ١٦٢ من حديث عائشة رضي الله عنها ، ومسلم فى الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب الأرواح جنود مجندة ٤/ ٢٠٣١ رقم (٢٦٣٨) ، وأحمد فى : المسند ٢ / ٢٩٥، ٥٢٧، كلاهما من حديث أبى هريرة .

خامسا : علاج الغضب :

وما دمنا قد وقفنا على ماهية الغضب، وحقيقة موقف الإسلام منه، والأسباب الحاملة عليه، وآثاره على العاملين، وعلى العمل الإسلامى، فقد صار سهلا وميسورا أن نرسم طريق العلاج، بل طريق الوقاية من هذا الغضب، وتتلخص هذه الطريق فى:

١ ـ التبصير بالآثار الضارة والعواقب المهلكة المترتبة على الغضب، سواء على العاملين، أو على العمل الإسلامى، دنيوية كانت أو أخروية، فإن مثل هذا التبصير يفيد فى تحريك النفس من داخلها، فإذا هى ساعية فى طريق العلاج، بل الوقاية من هذا الداء .

٢ ـ تطهير البيئة التى يعيش فيها المرء فى البيت أو فى المجتمع من هذا الداء ما أمكن، وإلا لزم التحول إلى بيئة أو إلى وسط آخر نظيف، يساعد فى التخلص بل الوقاية من هذا الداء .

٣ ـ التداوى من المراء أو الجدل، وكذلك من المزاح بالباطل، فإن التداوى منهما يقضى على رافدين فى غاية الأهمية بالنسبة للغضب، من باب أن القضاء على الداء ينبع من القضاء على أسبابه .

٤ ـ عدم العدوان على الآخرين ظلما وعدوانا، فإن مثل هذا العدوان يحمل على الرد مهما تكن التكاليف والتضحيات، وهناك ألف طريق وطريق لعلاج الخطأ، وآخرها العدوان من باب : أن آخر الدواء الكى .

٥ ـ التحرر من الاستعلاء والتكبر فى الأرض بغير الحق، مع التحلى بنقيضهما، وهو التواضع، فإن ذلك من شأنه أن يحمل المعروفين بالغضب عند رؤية هؤلاء، وقد تحرروا من أمراضهم أو أدوائهم، أن يتخلصوا بل أن يتوقوا هذا الغضب .

٦ ـ قيام الأمة ـ حكاما ومحكومين ـ بواجبها نحو المعروفين بالغضب، مرةً بالنصيحة، ومرةً بالإنكار، ومرة بالتخويف، ومرة بالثواب ومرةً بالهجر والمقاطعة، وهكذا فإن القيام بمثل هذا الواجب يفيد كثيرا فى التخلص بل الوقاية من هذا الداء .

٧ ـ إنزال الناس منازلهم، وإعطائهم حقهم من الاحترام، والتقدير، وتجنب وصفهم بما لا يليق أو بما لا ينبغى، فإن هذا من شأنه أن يحمل على التخلص بل الوقاية من هذا الداء .

٨ ـ عدم إثارة العداوات أو الثارات القديمة، فإن ذلك من شأنه أن يقضى، بل يقى الوقوع فى هذا الداء .

٩ـ تغيير الحال التى يكون عليها الإنسان ساعة الغضب بأن يتوضأ أو يغتسل، ويجلس إن كان قائما، ويمرِّغ خده ووجهه فى التراب إن كان جالسا، ويكثر من ذكر الله دعاءً، وتوبةً واستغفارًا، وثناءً على الله ـ تبارك وتعالى ـ أو يمشى إن كان واقفا، وهكذا حتى تهدأ ثائرته، ويعود إلى رشده وصوابه .

ولقد أرشدنا النبى ﷺ إلى هذا الدواء، إذ يقول سليمان بن صُرَد : استبَّ رجلان عند النبى ﷺ ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسبُّ صاحبه، مغضبا قد احمرَّ وجهه، فقال النبى ﷺ : « إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

فقالوا للرجل : ألا تسمع ما يقول النبىُّ ﷺ، قال : إنى لست بمجنون (١).

ويقول ﷺ فى حديث طويل : « . . . . ألا وإن الغضب جمرة فى قلب ابن آدم، أما رأيتم إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه، فمَنْ أحسَّ بشىء من ذلك فليَلْصَق بالأرض » الحديث (٢) .

وعن أبى حرب بن أبى الأسود، عن أبى ذرٍّ قال : إن رسول الله ﷺ قال لنا : «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع»(٣) .

وعن أبى وائل القاص قال : دخلنا على عروة بن محمد السعدى، فكلمه رجل فأغضبه، فقام، فتوضأ، ثم رجع وقد توضأ، فقال : حدثنى أبى، عن جدِّى عطية، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » (٤) .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب بدء الخلق : باب صفة إبليس وجنوده ٤ / ١٥٠، ١٥١، وكتاب الأدب : باب الحذر من الغضب ٨ / ٣٤، ٣٥، ومسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، وبأىٍّ شىء يذهب الغضب ٤ / ٢٠١٥ رقم (٢٦١٠) ، وأبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب ما يقال عند الغضب ٤ / ٢٤٩ رقم (٤٧٨١)، كلهم من حديث سليمان بن صُرد مرفوعا، واللفظ للبخارى .

(٢) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن : كتاب الفتن: باب ما جاء ما أخبر النبى ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة ٤ / ٤١٩، ٤٢٠ رقم (٢١٩١) ، وعقب الترمذى على حديثه بقوله : « وهذا حديث حسن صحيح »، وأحمد فى : المسند ٣ / ١٩، ٦١، كلاهما من حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعا .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب ما يقال عند الغضب ٤ / ٢٤٩ رقم (٤٧٨٢، ٤٧٨٣) بإسنادين إلى النبى ﷺ، الأول مسند متصل، والآخر مرسل، وقال عن الآخر: «هذا أصح الحديثين » .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب ما يقال عند الغضب ٤ / ٢٤٩ رقم (٤٧٨٤) بالإسناد المذكور، وبهذا اللفظ، وهو مرسل .

١٠ ـ تذكير الغضبان بحاله وقت الغضب، وأنه أشبه ما يكون بالمجانين، أو بالوحش الهائج ، وأن مثل هذا مالا يليق بإنسان خلقه ربُّه فى أحسن تقويم ، وفضله على كثير من خلقه إذ يقول : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء] . ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [التين]، فلعل مثل هذا التذكير يفيد فى العلاج بل الوقاية من الغضب .

١١ ـ لفت النظر إلى ضرورة مجاهدة النفس ضد الغضب، وأنَّ هذه المجاهدة دليل القوة والشجاعة حقا، إذ يقول ﷺ : «ليس الشديد بالصُّرعة، وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب »[١] .

فإن مثل هذا الأسلوب كثيرا ما يفيد فى العلاج بل الوقاية من الداء .

١٢ ـ بيان الأجر الذى ينتظر المسلم حين يجاهد نفسه، ويكظم غيظه، إذ يقول سبحانه : ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الشورى] . ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران] .

وإذ يقول ﷺ : «ما جرع عبد جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى»[٢] ، « مَنْ كتم غيظا، وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق، حتى يخيِّره من الحور العين، يزوِّجه منها ما شاء »[٣] .

فإن من لاح له بريق الأجر هانت عليه مشقة التكليف .

١٣ ـ دوام المعايشة لكتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ ، فإنها تبصِّر الطريق، وتربى ملكة التقوى، وهما خير ما يعين على التخلص بل الوقاية من الغضب .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٩٣ .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب الحلْم ٢ / ١٤٠١ رقم (٤١٨٩)، وأحمد فى : المسند ٢/١٢٨، كلاهما من حديث ابن عمرو مرفوعا، وأورده البوصيرى فى: مصباح الزجاجة ٤/ ٢٣٣ وعقب عليه بقوله: « هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث ابن عمر أيضا » .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب مَنْ كظم غيظا ٤ / ٢٤٨ رقم (٤٧٧٧) من حديث سهل بن معاذ عن أبيه به مع اختلاف يسير، والترمذى فى السنن : كتاب البر والصلة : باب فى كظم الغيظ ٤ / ٣٢٦، ٣٢٧ رقم (٢٠٢١)، وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن غريب »، وأحمد فى : المسند ٣ / ٤٣٨، ٤٣٩، ٤ / ١٤، وأورده الألبانى فى : صحيح الجامع الصغير ٥/ ٣٥١ من حديث معاذ بن أنس مرفوعا بهذا اللفظ .

١٤ ـ النظر فى تاريخ مَنْ عُرف عنهم كظم الغيظ والتحلى بالحلم والعفو كالأحنف ابن قيس ، وعمر بن عبد العزيز ، والشافعى وغيرهم ، فإن هذا النظر يحمل على الاقتداء والتأسى أو على الأقل المحاكاة والتشبه .

١٥ ـ الدعاء إلى الله أن يشفى القلوب مما بها من غيظ ، وأن يسكب فيها الرضا ، والرحمة ، والشفقة على عباد الله ، فإن الدعاء سهام نافذة لا تكاد تخطئ ، بل هو العبادة حقًا .